

نظرة الإسلام إلى الفن

المناسبة: لقاء خاص

الزمان والمكان: 2 جمادى الأولى 1422هـ / طهران

الحضور: جمع من أصحاب الفكر والفن

أجواء الكلمة

التقى جمع من أصحاب الفكر والفن قائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام عزّه)، حيث طرح جمع منهم في هذا اللقاء الحميم الذي طال ثلاث ساعات آراءهم في حقل الثقافة والفن، وما يعانونه من مشاكل في هذا المجال. بعدها تحدّث سماحة السيد القائد في حديث مقتضب وبيّن رؤية الإسلام في مجال الفن وما لهذه الموهبة الإلهية من دور في نشر المعارف الدينية، وطرح رؤاه في مجال الفن الملتزم والفن الديني والثوري والفن والسياسة، وأكد على ضرورة حلّ المشاكل الاقتصادية للفنانين.

العناوين الرئيسية في كلمة سماحته:

- الفن هبة إلهية
- الفن والالتزام
- الفن الديني
- الفن الثوري
- الفن والسياسة
- حل المشاكل الاقتصادية للفنانين

بسم الله الرحمن الرحيم

أرحّب بكم جميعاً أيها الأعضاء أحرّ الترحيب، وإن السعادة لتغمرنني؛ لما نالني من توفيق في أن أكون بين الفنانين، ولو على نطاق محدود.. أن أكون بينكم أنتم رموز الفنانين في شتّى الاختصاصات وبين الأماجد الحاضرين. وإنني أكتفي بهذا الترحاب، منتظراً الأصدقاء القائمين على هذا الاجتماع لتقديم ما أعدّوا، ومن ثم سأدلوأ بدلوي. وشكراً.

[يعد ذلك تحدث جمع من الفنانين، وطرحوا آراءهم في مختلف القضايا الفنية

والثقافية. تحدث بعدها قائد الثورة بحديث مقتضب، وإليك نصه]:

إنها لفرصة ثمينة بالنسبة لي، لا لما سمعته من حقائق تتعلّق بمختلف الأبعاد المتّصلة بالفن والأسرة الفنية وعلى ألسنتهم، بل بالإضافة إلى ذلك لما تدلّل عليه جلستنا هذه — وخلافاً لما يراود بعض الأصدقاء — من أنّ الثقافة والفن والأدب ليست الأمور الهامشية في بلدنا وإنما هي في الصميم تماماً، وحضوركم هنا بالذات — الذي رحّبتُ به — واجتماعنا المطوّل وما أدليتُم به، كل ذلك يعدّ مؤيداً لهذه الحقيقة.. على أية حال إنني مسرور جداً لهذه الفرصة السانحة التي انتفعت بها.

الفن هبة إلهية

ما أدلى به الأصدقاء — وكان عيّات بوسع المرء تخمين بعض ما لم يُقلّ في ضوئها — يعدّ بعضها من شؤوننا الجوهرية التي يتعيّن عليّ بالذات — بلا شك — أن تكون لي مساهمة في معالجتها، وبعضها — بطبيعة الحال — من الشؤون التنفيذية.

ولحسن الحظ فإن وزير الثقافة والإرشاد وزملاءه من الحاضرين هنا وسمعوا الكلمات التي ألقيت، وسأحتّم على معالجة بعض المشاكل والمصاعب ذات الأهمية في الجانب التنفيذي والعمل على حلّها بإذنه تعالى. ومن البديهي أنّ للأسئلة الفقهية المتعلّقة بالمنحوتات وحدودها وضوابط الموسيقى المحليّة وغيرها بحثاً آخر له وقته.

وأما ما أتحدّث عنه هنا بما تستجمعه ذاكرتي فهو: أنّ قضية الفن والفنان تعد من القضايا الطريفة وغاية في الحساسية والدقّة، وهناك حدود صعبة في هذا المضمار إن لم نضعها في الاعتبار، فمن الممكن أن تقع في الخطأ ونعمل خلافاً لما هو صالح؛ وهذا ما يختص بنا، وليس الحديث حول الحدود التي يتعيّن على الفنان الالتزام بها فتلك قضية أخرى. فنحن الذين نواجه قضية الفن والفنان المهمة في نطاق إدارة البلاد علينا أن نحسن تشخيص الحدود؛ كي نحسن التقييم ونعمل على ضوئه.

إنّ كل فنان يمثّل لوحده عالماً، وتلك ميزة الفن الذي ينطوي عليه وجوده. ولو سنحت الفرصة للإنسان بأن يجلس ليستمع إلى ما في قلوب الفنانين ويعيش آلامهم لرأى عالماً عجبياً ورائعاً، حيث تمتزج الأحزان والأفراح والآمال والطموحات وحالات القلق، ولكن للأسف فلا وجود لمثل هذا المجال.

وقد وصف أحد أصدقائنا الفن بأنه: جوهرة ناصعة البياض.

نعم، إنه جوهرة نفيسة لا تنحصر أهميتها ونفاستها في أنها تخطف القلوب والأبصار نحوها، فهناك الكثير من الأشياء التي لا تحسب على الفن بوسعها استقطاب الأبصار والقلوب نحوها.

كلا، فهذه هبة إلهية، إذ إنّ حقيقة الفن — أيّ فن كان — أنه هبة إلهية، وإذا كان بروز الفن يختبئ وراء طبيعة البيان، فهذه ليست كل حقيقة الفن، إذ إنّ هنالك إدراكاً وحساً فنياً يسبق البيان. وهنا يكمن جوهر القضية؛ فبعد مرحلة إدراك الجمال والرقّة والحقيقة ثمّة ألف حقيقة أدق من الشعرة ربما يعجز غير الفنان عن إدراك واحدة منها، بيدّ أنّ الفنان بروحه الفنيّة وبالجذوة الفنيّة المتوقّدة في داخله يستطيع التعبير عن ظرائف الأمور ودقائقها وحقائقها، وهذا ما يمثل الفن الحقيقي النابع عن إدراكٍ وانعكاس وبيان.

الفن في واقع الأمر هبة إلهية وحقيقة فاخرة للغاية، وعلى كل منّ منحه الله هذه الموهبة أن يعتبرها — بشكل طبيعي — عبء مسؤولية ملقى على عاتقه كما هو حال سائر الثروات؛ أي أنّ مواهب الله مقرونة بالتكاليف، وليست هذه التكاليف جميعاً شرعية ودينية بالضرورة، فكثير منها ينبع من صميم الإنسان؛ فعندما تتمتعون بنعمة البصر ويفقدها البعض فإن هذه العين، بالإضافة إلى المتع والذات التي تدر بها عليكم فهي تنقل كاهلكم بالتكليف أيضاً، وهذا التكليف يتبلور على خلفية امتلاككم للعين وليس من الضرورة أن يحدده الدين للإنسان أو تنزل آية قرآنية بشأنه، بل إنّ قلوبكم هي التي تدركه، وليس هنالك في العالم من لا يؤاخذ ثرياً إن رآه لا يكثرث بالفقراء — وإن كان قد جمع أمواله بكد يمينه وعرق جبينه — وقد يرد بأنه هو الذي جمع هذه الثروة بيديه وهي له، لكنكم لم تقبلوا منه ذلك، فوجود الثروة أو النعمة أو المكتسب يقابله وجود تكليف أيضاً.

الفن — بطبيعة الحال — ليس من بين تلك الأمور التي تتأتّى دفعة بكد اليمين وعرق الجبين، فإن لم تتوفّر لديكم القريحة والموهبة، فمهما بذلتم من جهود فإنكم ستتوقفون عند أول منعطف، وهذه القريحة ليست من صنع أيديكم، بل هنالك من منحكم إياها، والباري عز وجل هو الذي وهب هذه النعم بأسرها للإنسان، وإن كان وسيلتها المجتمع والوالدان والبيئة وغيرها من العناصر.

وإنكم بذلتم الجهود، غير أن الله هو الذي منحكم الفرصة والهمة للعمل حتى استطعتم الارتقاء بالفن في ذواتكم.

الفن والملتزم

يدّعي البعض وجود تناقض في الفن الملّزم بين المفردة الأولى وبين المفردة الثانية منه؛ فـ (الفن) يعني: ذلك الشيء القائم على الخيال المتحرر للإنسان، و(الملّزم) يعني التقيد.

فكيف تتسجم المفردتان مع بعضهما؟! هذا تصوّر، وهو — بطبيعة الحال — ليس بالتصوّر الصائب؛ ففضية مسؤولية الفنان والتزامه إنما ترتبط بإنسانيته قبل كونه فناناً، فالفنان إنسان قبل أن يكون فناناً، والإنسان لا يسعه أن لا يكون مسؤولاً، وأول مسؤولية يتحمّلها الإنسان تكون إزاء أبناء جلدته، وإن كان مسؤولاً أيضاً إزاء الطبيعة وإزاء الأرض والسماء، بيد أن مسؤولية العظمى هي قبال البشر. وفي نفس الوقت فإن على الفنان — نظراً لما يتمتع به من مزية راقية — إلزاماً غير ما تقدّم مني التتويه إليه آنفاً. الفنان ملتزم في إطار طبيعته وهيأته الفنيّة وعلى صعيد المضمون أيضاً، فصاحب القريحة الفنيّة ليس خليقاً به الاقتناع بالمستوى الهابط، وهذا التزام؛ فالفنان المتكامل الخامل الذي لا يعمل من أجل الارتقاء بعمله الفني والإبداع إنما هو ناكص في الحقيقة عن أداء مسؤوليته الفنيّة على الصعيد العملي، إذ لابدّ للفنان أن يعيش جهداً مستمراً. ولعلّ المرء يصل حدّاً لا يستطيع معه العمل أكثر منه — ولا كلام في ذلك — ولكن عليه بذل الجهود إلى المستوى الذي يتمكن فيه للارتقاء بالبنية الفنيّة، وهذا التزام إزاء الهيكلية؛ وهو مما لا يتحقق إلّا من خلال الاندفاع والرغبة والمسؤولية. وهذا الاندفاع والرغبة مسؤولية أيضاً، وهو بمثابة الآلية التي تحفّز الإنسان للعمل وتحول دون أن يثبطه الشعور بالكسل والدعة عن العمل.

وفضلاً عن ذلك هنالك التزام إزاء المضمون؛ ما الذي نتطلّع لتقديمه؟ فإن كان الإنسان عزيزاً ومحترماً فإن فؤاده وعقله وفكره عزيز ومحترم أيضاً؛ فلا يصح منا أن نقدّم للمخاطب ما نشاء عندما يجلس وينصت لما نقول، بل علينا التمعّن بما نريد تقديمه له.

والحديث عن دخولنا أو عدم دخولنا لأيّ من التجمّعات السياسية — وهو ما يردده بعض الأصدقاء — إنما هو من الأمور المفترض أن تكونوا قد تجاوزتموها. وهي ليست موضع حديثنا الآن، بل الحديث يدور حول الأخلاق والفضيلة. ولقد طرق مخيلتي قول قرأته لرومان دولان — على ما أعتقد — حيث قال: إنّ العمل الفني 1% منه فن و99% منه أخلاق — أو لنقل للاحتياط إنّ 10% منه فن و90% منه أخلاق —. وهذا كلام يخلو من الدقّة، وإذا ما سئلت فإنني أقول: إنّ 100% منه فن، و100% منه أخلاق، فلا منافاة بينهما.

يجب تقديم العمل زاخراً بالإبداع الفنيّ بنسبة 100% ومفعماً بالمحتوى الراقى المتطور الذي يضع الفضيلة بنسبة 100% أيضاً، فالهاجس الذي يعيشه بعض الحريصين على صعيد الأمور الفنيّة هو أن لا نحرق الفضيلة ونهتك الأخلاق بذريعة حرية الخيال أو حرية الفن، وهذا من الأهمية بمكان. وبناءً على هذا فإن مفردة الفن الملتزم مفردة صائبة.

يجب على الفنان الالتزام بحقيقة. ولكن ما هي تلك الحقيقة؟ وما هو المستوى الفكري الذي يتمتع به الفنان ليعرف كل تلك الحقيقة أو بعضها ويشخصها؟ فذاك بحث آخر. وبطبيعة الحال فإنه كلما ازداد المستوى العلمي والفكري والإدراك العقلي استطاع أن يرفع من كيفية هذا الحس المرفه.

لم يكن حافظ الشيرازي فناناً فحسب، بل إن كلماته تتطوي على معارف سامية أيضاً، وهذه المعارف لا تتأتى عن طريق الفن فقط، بل يلزمها رافد فلسفي وفكري، فلا بد من وجود مرتكز أو منطلق إرادة ناهض عن علم فاخر يدعم هذا الحس الفني وبالتالي البيان الفني.

وبديهى أنه ليس الجميع على مستوى واحد وليس منتظراً أن يكون الأمر كذلك، وهذا ما يصدق على جميع المجالات الفنية. وهذا المعنى له وجود بدءاً من الفن المعماري ومروراً بالرسم والتصاميم والنحت وانتهاءً بالأعمال السينمائية والمسرحية والشعر والموسيقى وسائر الأعمال الفنية؛ فإنكم ربما تشاهدون معماراً يتميز بفكره، وربما تشاهدون معماراً آخر خاوياً من الناحية الفكرية منزوع الهوية لا يلوي على فكر، فإن شاء الاثنان تشييد بناء فإنهما سيختلفان في التصميم، وإذا ما أوكل أمر بناء مدينة لمثل هذين الشخصين فسيتفاوت نصفها الأول مع نصفها الآخر تماماً. على أية حال فإن هذا الالتزام ضروري.

الفن الملتزم حقيقة علينا الاعتراف بها، ولن ننال الشموخ إن لهتشتا وراء الفن خالين الوفاض تحذو بنا العبثية واللغو والدوافع الآنية الهابطة الدنيئة أو الآثمة؛ لأن الانشراح الذي يتبلور داخل الفنان — إذ للفنان انشراحه الذي يميزه ويختلف عما سواه من حالات الانشراح ولا يشاهد عند غيره — إنما يتجسد على حقيقته عندما يعرف الفنان الشيء الذي يصبو إليه والعمل الذي يتطلع لإنجازه، فيغمره الرضى آنذاك بعمله الفني ويشعر بالسرور لإنجازه. وفي مثل هذه الحالة يجب أن توضع الأخلاق الإنسانية والفضائل والمعارف الدينية والإلهية السامية بالحسبان.

الفن الديني

الملاحظة الأخرى التي دوّنتها وأثارها السادة في كلماتهم، هي قضية الفن الديني. وإنني بصدد القول: إن الفن الديني لا يعني بأي حال القشرية والتظاهر بالمظهر الديني، وليس بالضرورة أن يتبلور هذا الفن وفق المفردات الدينية؛ فلعله يكون فناً دينياً بالكامل ولكن يستعان فيه بالمفردات العرفية وغير الدينية، فينبغي عدم التصور بأن الفن الديني إنما يصور قصة دينية أو يتحدث عن مقولة دينية من قبيل العلماء وغيرهم — على سبيل المثال — بالضرورة.

الفن الديني هو الذي ينجح في نشر المعارف التي سعت جميع الأديان — وفي

مقدمتها الدين الإسلامي الحنيف — لتشرها بين البشرية، وقدّمت الأرواح الزاكيات في سبيل نشر هذه الحقائق، ويعمل على تخليدها وديمومتها في الأذهان؛ فهذه المعارف هي معارف دينية سامية، إنها حقائق ناء الأنبياء جميعاً بأعباء جسام من أجل النزول بها إلى أوساط الحياة البشرية، ولا يحق لنا أن نجلس هنا لتخطئة جهود الصفوة من البشرية من مصلحين وأنبياء ومجاهدين في سبيل الله ولا نكثرث بها.

فالفن الديني هو الذي ينشر هذه المعارف، وهو الذي يجسّد العدالة كقيمة في المجتمع، وإن لم تضمّنوا عملكم الفني ذكراً عن الدين أو توردوا آية قرآنية أو حديثاً عن العدالة، ولا ضرورة أبداً أن تتضمن حواراتكم السينمائية أو المسرحية ذكراً أو صورة تحمل ظاهراً دينياً؛ كي تكون دينية حتماً.

كلا، فبإمكانكم الحديث بكلام سلس في عروضكم الفنية عن العدالة، وبذلك تكونون قد وضعت الفن الديني في الاعتبار.

المهم في الفن الديني هو أن لا يوظّف الفن لخدمة الشهوة والعنف والابتذال وسحق هوية الإنسان والمجتمع. إنّ مجتمعنا قد شعر بهويته بعد انتصار الثورة الإسلامية، أي أنه استعاد شخصيته، فلقد كنّا ضياعاً تائهين في خضمّ أمواج التجاذبات الدولية، فجاءت الثورة لتبعث الحياة فينا وتمنحنا الشخصية.

ولقد علّمتنا الثورة أنّ بإمكان أي شعب أن يكون له ما يقوله وموقفه في أهم القضايا العالمية، ويعبر عنه جهاراً، ويتمسك به دون اكتراث بمآرب السلطويين والجبابرة في العالم، وفي مثل هذه الأمور تكمن شأنية أي شعب على المستوى الدولي لا بالتقليد الأعمى في الأبعاد السلبية، ولا قيمة لشعب يخضع للدول المتجبرة القوية والغنية.

هذا ما علّمتنا إيّاه الثورة، وما حققناه بفضل الإسلام، وها هو نظام الجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني يسجلان حضورهما في الساحة العالمية على جميع الأصعدة كشعب شجاع له رؤيته، فيما نمرّ عليه نحن ومن خلال الفن مرور الكرام أو نندسه بشتّى الأحوال، فهل هذا من الصواب في شيء؟! ينبغي للفن أن لا ينحدر بهذا الاتجاه.

يجب أن لا يخلط الفن الديني بالفن القشري المتحجّر — أو كما عبّر عنه إخواننا بإتباع سبيل الفئة الفلانية الجاهلة — فلا تتهموا أنفسكم اعتباطاً؛ فالفن الديني عبارة عن ذلك الفن الذي يمتلك القدرة على تجسيد وتقديم مبادئ الدين الإسلامي — وهي أفضل المبادئ التي تحملها الأديان الإلهية — هذه المبادئ التي تضمن سعادة الإنسان وحقوقه المعنوية وسموّه وتقواه وورعه، والعدالة في المجتمع الإنساني.

وليس ثمة إرغام أو إجبار لأن يكون العمل وفق هذا السياق أو لا يكون، والذين

يعرفون آرائي في هذا المضمار على علم بعدم اعتقادي بإصلاح الفن عن طريق الأوامر والإيعازات والأحكام وما شابه ذلك، فهو ليس من قبيل الأشياء التي تقوم باللوائح، فلا بدّ من توفّر الدوافع وإن كانت هنالك دوافع غير نزيهة، وبالطبع فإن ما أقوله يمثل وجهات نظري، ولا يحمل تحريضاً على عدم الاعتناء إذا ما أصدرت وزارة الإرشاد لائحة تتعلق بأحد المجالات.

الفن الثوري

والمقولة الأخرى التي أطرّق إليها باختصار هي مقولة الفن الثوري: إنّ الآمال التي تعقدها الثورة على الفن إنما منطلقها الرؤية الجمالية في الفن وليست آمالاً مبالغ فيها؛ فشعب ينزل إلى سوح الدفاع المقدس لمدة ثماني سنوات، وشباب يتوجّهون إلى الجبهات ويضحّون في سبيل قيمهم — وأكثرهم إنما توجّهوا إليها دفاعاً عن الدين، وإن كان البعض قد توجّه إلى الجبهة دفاعاً عن الوطن وتغور البلاد —، والآباء والأمهات والزوجات والأبناء ومن بذلوا جهوداً خلف الجبهات يسطّرون ملحمة أخرى.. فأجبلوا بأبصاركم على ذكريات ثماني سنوات من الدفاع المقدس، وألقوا نظرة فنيّة على وضع المجتمع وطبيعته، فهل تعثرون على ما هو أجمل منها؟ إنكم وعند مشاهدتكم لتضحية إنسان في أرقى النتاجات الدرامية في العالم تنتنون عليه وتعظمونه، وإذا ما صوّرت أمامكم عبر الفلم أو المقطوعة الموسيقية أو لوحة الرسم حياة ثوري — مثلاً جان دارك — أو جندي مضحّ في بلد ما فإنكم لا تتمالكون أنفسكم حتى تنتنون عليه من صميم وجدانكم وفؤادكم، فهناك الآلاف من الوقائع التي تفوق ما يعرض في هذا النتاج الفني قيمة وعظمة قد وقعت أثناء سني الدفاع المقدس الثمانية وخلال الثورة نفسها وفي دياركم أنتم، أوليس ذلك جمالاً؟! وهل بإمكان الفن أن يمرّ من جانب هذه القضية دون أن يأبه بها؟! هذا ما تتأمّله الثورة، وهو ليس بالكثير، وقد يقال: لماذا لا يُرى الجمال؟! إنّ الذي لا تنثّره هذه القضية لا يريد رؤية هذا الجمال!

إنكم يا أعزائي على معرفة جيدة بالتاريخ، وأنا كذلك مطّلع على التاريخ، ولقد تصفحت مراراً تاريخ السنوات السبعين أو الثمانين المنصرمة وما قبلها، فلقد كنّا في الحقيقة واحداً من أكثر الشعوب ابتلاءً في وقوعنا بقبضة القوى العالمية المتجبرة المتعسّفة. ولقد كانت لي دراسات مطوّلة حول شبه القارة الهندية وصنفت كتاباً في هذا المجال أيضاً، وعندما أقارن وضع إيران مع الوضع في شبه القارة الهندية أجد أنه بالرغم من الهيمنة المباشرة للاستعمار البريطاني هنالك إلّا أنّ وضعنا كان الأسوأ من حيث الضغط الذي مارسته القوى السلطوية في العالم، فهم لم يبتلوا بخيانة ونفاق وفساد

وتبعية العناصر المحليّة والوطنية، إذ دخلت حفنة من البريطانيين تلك البلاد، فانبثرت عناصر وطنية من قبيل غاندي ونهرو ومولانا محمد علي ومولانا شوكت علي وجناح وغيرهم لمقاتلة الانجليز وتعرّضوا للاضطهاد أيضاً.

بيد أن حالنا لم يكن كذلك، إذ جاء البريطانيون برضا خان إلى سدة الحكم كعميل ينفذ مآربهم. هذا ما لا يمكن إنكاره، وهو ليس مما أقوله أنا، بل هو من الأمور التاريخية الجليّة وتشهد عليه المقالات التي كتبت والوثائق التي صدرت بعد ثلاثين أو أربعين عاماً.

وقبل أيام كنت أقرأ إحدى الوثائق التي كانت تؤكّد أن اجتماعاً ضمّ السيد ضياء ورضا خان ومسؤولين بريطانيين، وفيه قال رضا خان: لا علم لي بالسياسة ولست على إطلاع بها، وإنني أذن صاغية لكل ما تأمر به.. وهكذا كان، لكنهم حينما أحسّوا منه اهتزازاً ضئيلاً في طاعته وميلاً ليس باتجاه الاستقلال، بل نحو ألمانيا الهتلرية — ومن الطبيعي أن يتأثر رضا خان وتأخذه النشوة حينما ينظر إلى هتلر — فقد أزاحوه وجأؤوا بابنه. هذه من الحقائق التي شهداها بلدنا.

لقد امتهنت إيران، مع ما تتميز به من خصال ثقافية متجذّرة تحدّثت منها صادقين، وأنا على إيمان بها؛ فلقد حكمنا طوال خمسين أو ستين عاماً أناس ليس أننا لم نأت بهم إلى الحكم فحسب — فلم يسبق لإيران أن شهدت حكومة شعبية بهذا النحو — بل لم تكن لرجولة منهم أيضاً، فيا ليتهم كانوا كدكتاتورية نادر شاه على أقل تقدير الذي جاء إلى سدة الحكم بقوة ساعده، أو محمد خان الذي جاء بمكره.

إنهم لم يكونوا كذلك، بل جاء بهم آخرون وسلّطوهم على رقاب هذا الشعب، فسطوا على الثروات المادية والمعنوية لهذا الشعب برمّتها، وبعد عناء واضطهاد مرير تبلورت حركة عملاقة في مواجهة هذه الظاهرة المشؤومة، واستطاعت بلوغ مرامها من خلال تقديم التضحيات وبنحور مشرعة لمواجهة العدو المتغطرس، أوليس هذا جمالاً؟! وأنّي للفن أن يمرّ من جانبه مرور الكرام؟! هذا ما تطمح إليه الثورة، وهذا هو الفن الثوري الذي نادينا به ودعونا إليه منذ بداية انتصار الثورة، فهل هو مطلب مُبالغ فيه؟! فيجب أن نتطرّق نتاجاتكم الفنيّة من موسيقى ومسرح ورسم وسائر الفروع الفنيّة إلى هذه القضية، فإنها من الأمور الضرورية.

إنّ ما تتأمّله الثورة من الفن والفنان لا يتخذ طابع التعسّف والطمع، وإنما يقوم على أساس تلك الرؤية الجمالية للفن؛ فالفن هو الذي يتحسّس الجماليات، وليست هذه الجماليات مقتصرة على الوردية والبلبل، فقد يكون إلقاء شخص في النار وتحملها لها أكثر جمالاً من الوردية والبلبل.. فيجب على الفنان أن يشاهدها ويتحسّسها ومن ثم يبيّتها

بلغة الفن.

لا أنكر أنّ نتاجات قيّمة صدرت بعد انتصار الثورة على صعيد الفن الديني، ربما أدركها بالحدود المتاحة لي، وكذلك هنالك بعض النتاجات التي ربما لا ندركها كمستمعين.

وإنني أتقدّم بالشكر من الأعماق لجميع الذين شاركوا فيها، سواء منهم الممثلين الذين أدّوا أدوارهم بشكل رائع أو المخرجين، أو الذين كتبوا السيناريوهات وسائر المتصدّين في باقي المجالات والأعمال الفنيّة من رسم وخط وتصميم وغيرها من الأعمال الراقية التي لا يسع الإنسان التفاضل عنها بأي حال، لكن الآمال التي سبقت مني الإشارة إليها تبقى قائمة على الدوام، وهي قائمة الآن أيضاً.

الفن والسياسة

لأتحدّث بكلمات عن الفن والسياسة، فلقد قال هذا الصديق العزيز — وهو بمثابة ولدي —: إنني لا أرغب في الانضمام إلى هذا الجناح أو ذاك، لكنهم لا يكفّون أيديهم عني!

وصيّتي الدائمة للفنانين ومن هم على تماس بالعمل الفني: أن لا يجرفوا هؤلاء نحو الألاعيب السياسية، وكلامي هذا ليس ابن يومه، بل مذ كنت رئيساً للجمهورية، كنت أقول ذلك لوزراء الإرشاد والمسؤولين على اختلافهم يوم ذاك كلما صادفتهم، وكانت لي وصايا خاصة لمختلف الأشخاص كانت تصبّ بمجملها باتجاه عدم السماح لأن تخترق التيارات السياسية والتنظيمات الحزبية والتكتلات الشبيهة بالأحزاب هذا الحقل ويحكمون قبضتهم عليه.

ولكن عليكم أن لا تقعوا في الالتباس، فعندما يحين وقت المحافظة على القيم واستمراريتها أو يجري الحديث عن تحريفها يكون هنالك حد فاصل، وليس لأحد القول: أنا لست لهذا الطرف ولا لذاك.

أو يصحّ ذلك؟! إنه فقدان الهوية، وهل لإنسان يؤمن بمبدأ ما ولا يؤمن به في نفس الوقت؟! يقدّسه ولا يقده في آن واحد؟! يجب على المرء أن يتخذ موقفه هنا ويتمسك به.

ولا أنفي أبداً إمكانية وقوع المرء في الخطأ، لكن عليه تلافي خطئه، كما في تنويهي لبعض الأصدقاء حينما قدّموا لي نتاجاتهم، أو أنني شاهدها عن طريق آخر وكانت لي آراء وانتقادات حولها في التمثيل، وفي الحوارات، وهو ما تصطلحون عليه الدايك أو التصوير، وهنالك من بادروا لإصلاحها فيما امتنع البعض الآخر، وقدّمنا شكرنا لأولئك

الذين بادروا للإصلاح. أما الفئة الثانية فلم يبدر منّا حتى عتاب، ناهيك عما هو أكبر من العتاب.

على أية حال، ثمة حدود هنا، وهل يمكن التغاضي عن هذه الحدود؟ وكما تقدّم القول منّي، لا يمكن التزام اللامبالاة إزاء القيم؛ وهذا مما لا ينبغي وضعه في حساب الخط أو التيار السياسي "ألف أو ب". وخلال فترة رئاستي للجمهورية كان لي حديث حضره أفراد من كلا الجانبين، فقلت لهم: إنكم بمثابة قبيلتين (ألف و ب)، وإن صراكم صراع قبلي.

واليوم فقد تواصلت هذه القبلية بأسوأ صورها، وليس هنا محل الحديث عنها، وسأتطرق إليها وأتحدّث عنها بينهم.

لكن ثمة ملاحظة يا أعزائي هي: أنّ السياسة في عالمنا المعاصر تسيء استغلال الفن، وإذا زعمنا خلاف ذلك فإنه دليل على الجهل.

واستغلالها هذا ليس جديداً، بل هو قديم، فقبل أيام جاؤوني بوثيقة حول حادثة 28 مرداد¹ قامت وزارة الخارجية الأمريكية بترجمتها ونشرها — لم يكن لي من العمر يومها ما يعتد به، بل كنت في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من العمر — وقليلة هي المعلومات التي تحتفظ بها ذاكرتي، لكنني سمعت وقرأت كثيراً عنها، لكن أياً منها لا يرقى إلى مثل هذه التفاصيل؛ فالذين كانوا مسؤولين عن الواقعة هم الذين كتبوا هذه الوثيقة ثم أرسلوها إلى وزارة الخارجية ووكالة الـ (C.I.A) وهي تختص بالأمريكيين؛ فيما كانت العمليات مشتركة بين الأمريكيين والبريطانيين، وهذا ما عكسته الوثيقة.

ما أثار انتباهي هو قول كيم روزفلت²: لَمَّا جئنا إلى طهران اصطحبنا معنا حقبة مليئة بالمقالات التي كان يتوجّب ترجمتها ونشرها في الصحف، كما جئنا بالكاريكاتيرات أيضاً! تصوّروا؛ إنّ جهاز الـ (C.I.A) الأمريكي يتشبّث بكافة الوسائل للإطاحة بحكومة لا تتسجم معهم ولا تعمل على ضمان مصالحهم، حكومة تستند إلى آراء الشعب — وخلافاً لكافة الحكومات التي جاءت في العهد البهلوي، فقد كانت تلك الحكومة شعبية وجاءت إلى الحكم عبر آراء الشعب وبشكل قانوني — تحت يافطة

¹ انقلاب الثامن والعشرين من مرداد (19 اغسطس آب 1953) الذي دبّره المخابرات الأمريكية (CIA) بالتعاون مع

البريطانيين وأتباع الملكية ضد حكومة الدكتور مصدق الوطنية وإرجاع الشاه إلى السلطة.

² كيم روزفلت: رجل الاستخبارات الأمريكية، حفيد (تيودور روزفلت) أمريكا في سنوات 1901-1909م، خطط ونفذ

انقلاب (28 مرداد) ضد حكومة مصدق الوطنية في إيران عام 1953م.

الخشية من انصوائها تحت الجدار الحديدي للاتحاد السوفيتي، ومن بين تلك الوسائل ولعلهم لم يعثروا على رسام الكاريكاتير الذي يخدمهم ويمكنهم الوثوق به يوم ذاك فجاءوا بالكاريكاتيرات الجاهزة! وورد في تلك الوثيقة: أننا أوعزنا إلى القسم الفني في وكالة المخابرات إعداد هذه الأمور! وقبل سنتين أو ثلاث صنف الإيطاليون كتاباً ترجم فيما بعد إلى الفارسية يتضمن إشارة إلى وجود القسم الفني في وكالة المخابرات ونشاطاته المختلفة.

هكذا تستغل السياسة الفن؛ فما عساكم صانعين؟ فلو أقسم السياسيون والمستكبرون والمتجبرون والمتنفذون في العالم بكتابهم المقدس على أن لا يستغلوا الفن في السياسة، عندها يمكن للإنسان أن يرتاح باله ولو نسبياً ويقول الحمد لله ها هو الفن قد تخلص؟ لكن ها هم يستغلون الفن؛ فما أنتم صانعون؟!

أتريدون الاستغناء عن هذه الوسيلة في مواجهة المطامع التي يحققونها عن طريق وسيلة الفن؟ وهل هذا من العقل؟! كلا، ليس من العقل البتة.

اعلموا أن هذه الديار لم تشهد حتى يومنا هذا حكومة كالحكومة الحالية في إيران من حيث استنادها إلى آراء الجماهير وعواطفها، وهذا ما أقوله متيقناً وأثبتته.

وبطبيعة الحال كانت هنالك حكومات لها من يثني عليها، بيد أن الإطراء أمر، وتوظيف الإيمان والاعتقاد وعواطف الأمة لخدمة حكومة ما أمر آخر. وهذا ما تتفرد به الجمهورية الإسلامية، وقد جاء بفضل الثورة والاستناد إلى الدعم الجماهيري، وهكذا الحال اليوم. وإنني أقول ذلك مفتخراً.

لم يستغل المسؤولون هنا الدعم الجماهيري فيستحوذ عليهم التفرعن والشعور بالكبرياء، وأنا الذي أتكلم معكم الآن لا يراودني الشعور بالكبرياء قيد أنملة — والحمد لله رب العالمين — وهكذا شأن سائر المسؤولين؛ فلا رئيس الجمهورية ولا رئيس مجلس الشورى ولا رئيس السلطة القضائية يراودهم هذا الشعور بتاتا، فمسؤولونا يرون أن هنالك أمانة إلهية بأيديهم، ووجودهم إنما هو لأيام معدودات وغداً راحلون، ويرون أنهم يتحملون مسؤوليات، وذلك ما يختص بهذا البلد.

إن هذا النظام الجماهيري المتواضع الذي يخدم تطلعات الجماهير موصوم بجرم كبير لا يغتفر، وهو عدم استسلامه للمطامع التي من شأنها تأمين مصالح القوى الكبرى في هذه المنطقة! وعندما أقول: إنه لا يخضع لمصالحهم، فهذا الكلام يصرحون به هم أنفسهم، وإذا ما زرعت أمريكا قوّاتها في الخليج الفارسي — مثلاً — أو أية منطقة أخرى، وسئلت عن السبب في ذلك فإنها تجيب بأن مصالحها تقتضي ذلك! أي أن

مصالحهم يجب أن تؤمّن من على بعد عدة آلاف من الكيلومترات، حتى وإن لم تؤمّن مصالح شعب يعد من شعوب المنطقة! وأية خطوة يقدمون عليها في أي بلد إنما تأتي لتأمين مصالحهم خارج الحدود.

إنّ ذنب الجمهورية الإسلامية يكمن في أنها وخلافاً لجميع بلدان العالم لا تخنع لهذه المصالح ولا تعمل على تأمينها، بل تعلن أنها تتطلّع لتأمين مصالحها ولا شأن لها بمصالح الآخرين.

وما يقال: من وجود رغبة في الحرب لدى الجمهورية الإسلامية لا أساس له، فلنا في حالة حرب مع أمريكا، فإن لنا شأننا، ولنا ننوي شنّ الحرب على أمريكا ولم يبدّر منا تصريح بذلك أبداً، لكننا لا نستسلم، ونقولها لهم: لن نخضع لكم مهما كان الثمن.

هذا هو ذنب الجمهورية الإسلامية. وهكذا الحال على صعيد سائر القضايا وبالذات القضية الفلسطينية وما شابهها. فبجريّة عدم الخنوع أمام المآرب الإستكبارية للقوى العالمية يدان شعب ويحارب بكافة الوسائل ومن بينها الفن! وكما نوّهت فإن وكالة المخابرات الأمريكية تضمّ قسمًا فنيًا، وكثيرة هي الأفلام التي صوّروها بعد انتصار الثورة ضدّنا وضد التشييع والإسلام.

فما هو يا ترى تكليفكم أنتم كمنتج فيلم وسينمائي، وممثل سينمائي ومسرحي وموسيقي إيراني تدرك هذا الواقع وترى هذه المظالم؟ أو ما يترتب تكليف جماهيري؟! لقد سمعت أنه وخلال أحداث الحرب العالمية كان لـ "شورعليوف" الموسيقية الروسية المعروفة — وإنني لم أستمع لها أو أعرف عنها شيئاً — بالغ التأثير في إثارة الناس وتحريكهم نحو ساحة الحرب؛ أي أنها كانت تخدم الأهداف الجماهيرية. وطبيعي، فهذا ما يتأمّله كل بلد من الفنان. وبناءً على ذلك، كيف يمكن إهمال وسيلة الفن في حين يستخدمها العدو؟!

وثمة ملاحظة أطرحها أمامكم وهي: أنّ همسات ربما تطرق أسماع المرء مفادها أنّ العالم يتّهمنا بالعنف، فما الذي علينا فعله الآن؟ وهي ليست بذلك المستوى الذي تستحقّ معه أن يرتضيها أو يتداولها الذكي والفطن من الناس؛ فإن أفضل السبل للقضاء على سمعة أي شعب هو إقصاؤه من الساحة عبر سيل متراكم من الدعايات، حيث يستهدفونه بالتّهم على الدوام فيجعلونه يتخذ موقف الدفاع، وهذا أسلوب قد افترض أمره. إنهم يتّهموننا بالعنف؛ فمن هذا الذي يقوم بهذا العمل؟

قبل عام أو عامين جاءنا أحد رؤساء الدول الأوروبية زائراً، وأنتم تعرفون ما يجري خلال اللقاءات ذات المستوى الرفيع دولياً، فكثيراً مما يدور فيها من حوارات تتميّر

بالمجاملة والمداولات المتفرقة. فأخذ يتحدّث عن السلام قائلاً: نحن ندافع عن السلام. وبعيداً عن الرسوم البروتوكولية المتبعة في مثل هذه اللقاءات عدتُ إلى أصلي كطالب علم وقلت له: إنكم الأوروبيون تثيرون الحرب، وأنتم أنفسكم تتحدّثون عن السلام! فأنتم الذين أشعلتم أوار أكبر الحروب على امتداد التاريخ البشري وقتل فيها عدد هائل من البشر، ونحن على هذا الجانب من العالم ألحقت بنا رياح حروبكم كل هذه الخسائر، وها أنتم الآن تتادون بالسلام! قلت له: إننا ليست لدينا مشكلة اسمها الحرب، وليس من البلدان الإسلامية من هو طالب حرب؛ فأنتم الذين تتحدّثون عن الحرب، وأنتم أنفسكم الذين ترفعون شعار السلام!

إنهم هم الذين ينتجون كل هذه الأسلحة وينشرونها في العالم. وبناءً على هذا فحقيقة الأمر هي أنهم ذاتهم الذين يرتكبون العنف بأقصى مدياته. إنهم يتحدّثون عن الإرهاب ومرادهم من ذلك هو لماذا تدعم الجمهورية الإسلامية المجاهدين الفلسطينيين الذين يدافعون عن وطنهم؟ فالدفاع عن الإرهاب يعني في نظر وسائل الإعلام العالمية الدفاع عن المجاهدين الفلسطينيين، وإنّ هدم دار الفلسطيني على رأسه من قبل الدبابات الإسرائيلية وقتل طفل له من العمر عدة شهور ليس إرهاباً، ولكن إذا ما قتل عسكري فظّ مجرم في حادثة ما فإن صحفهم تنشر صورة زوجته وأولاده كلاً على حدة وهم يبكون، ويصوّرون تشييعه ودفنه؛ كي يصوّروا أنّ الطرف المقابل يتشبّث بالعنف! هذا ما يمارسونه من أعمال دعائية. ومرادي أن يتمّ النظر بعمق للفن والسياسة بعيداً عن البساطة في التفكير.

إنّ الأمل يحدونني أن تبقى قيمة الفن على مكانتها الحقيقية موضع عناية من قبل أهل الفن أنفسهم، وأن يولوا مزيداً من الاهتمام لما في كيانه من ذخيرة نفيسة ويحترمونها. واحترامها يتمثّل بوضعها في محلّها المناسب؛ ففي حديث للإمام السجاد "عليه السلام" [ما مضمونه]: "إنّ أثمن ما لديك هو وجودك الإنساني، وليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنة، فلا تبيعوها إلاّ بها".

إنّ الفن واحد من أفخر وأعلى جوانب النفس الإنسانية، فلا بدّ من إعظامه وبذله في سبيل الله، وعندما نقول بذله في سبيل الله، فلا يتبادر إلى الذهن على الفور اللهاث وراء حالة القشرية والمرأاة.

حلّ المشاكل الاقتصادية للفنانين

ومسألة الاقتصاد في الفن تعدّ مسألة مهمة وهي مرتبطة بالأجهزة التنفيذية، وإنني أركّز توجيهي على وزارة الإرشاد بأن تولي هذه المسألة اهتمامها.

فصحيح ما يقوله منتجو الأفلام وسائر الأقسام الفنية، بالإضافة إلى أنّ الوضع المعاشي للفنانين أنفسهم ليس بالمستوى الراقى، وفي كثير من الحالات ليس بالمستوى المطلوب؛ وأولئك الذين يوظفون رؤوس أموالهم في الفروع الفنية، وغالباً ما يكونون ملتزمين ببعض الأمور لا يجنون أرباحاً من ذلك؛ فلا بدّ من تقديم العون لهم، وإلاّ فإنهم سيّجّهون نحو كل ما من شأنه أن يمدّهم بالأموال ويوفّر لها لهم، وكما يصطّلع عليه أرباب السينما "الجنوح نحو التسوّل".

وهذا بذاته ليس بالأمر المحبّذ على طول الخط، ولعل هذا أحد عوامل الجنوح نحو القضايا الجنسية والشهوانية وما شابه ذلك في السينما، فإنهم إذ يحاولون أن يكتسب الفلم حالة من الجاذبية يلجأون إلى جمع مجموعة خاصة من الأفراد، وهذا — للأسف — خلل فاحش يشاهد في الكثير من أفلامنا، وكنموذج عليه ما ذكره الإخوة الأعزاء وهو مرفوض من الأساس.

والأفلام المعدودة التي نوّه إليها السادة لم يسبق لي أن شاهدها، وليست القضية قضية مقص الرقابة، بل علينا أن لا نغذّي عقل وفؤاد الشاب بما يجرفه نحو الخطيئة والفساد؛ فهذا يختلف عن منح الحرية للعقل من أجل الاختيار في قضية ما.

فأنتم تعلمون أنّ القضايا العاطفية لا تمنح المرء فرصة للاختيار، فهي تجرّ الإنسان باتجاه يفقد معه القدرة على الاختيار، وإنني أرفض ذلك.

فالمرء يشاهد في الكثير من الأفلام والأعمال التمثيلية استعانتها بالمشاهد الجنسية لإكساب العمل شهرته، وفي الموسيقى وبعض الفنون الأخرى بصورة أخرى. لا بدّ أن تكون الأوضاع بصورة يقدّم الفنان فنّه بحرية بعيداً عن القيد الذي ذكرته — البحث عن المستهلك — كي يبرز الفن صحيحاً سالماً.

أسأل الله تعالى أن يغمرنا أنا وجميع المسؤولين وأنتم أيها الفنانون الأعزاء الحضور بهدايته ورحمته، وأن نحظى بإسناد وعون يد العناية الإلهية.

أشكركم ثانية أيها الإخوة والأخوات الأعزاء لتجشّمكم عناء الحضور هنا، ومنحكم هذه الفرصة الثمينة لألتقيكم عن قرب ولو بشكل محدود قليل وأنتفع بآراء بعضكم. وإنني أعبر عن تقديري وثنائي للذين يبذلون جهودهم بحرص والتزام ومسؤولية في الحقل الفني وأشكرهم جميعاً، وكذلك أشكر أولئك الذين قدّموا أعمالاً باهرة ونفيسة سواء منهم القدماء أو شبابنا اليافعين.

وفّقكم الله وأيدّكم جميعاً. وأشكر من الأعماق الإخوة في وزارة الإرشاد لتوفيرهم هذه الفرصة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

